

سُورَةُ الْحَجِّ

قَالَ تَجَالِي: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ ﴾ [الحج: ٢].

القراءات: «سكاري-بسكاري» قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بفتح السين وإسكان الكاف وحذف الألف، وقرأ الباقون بضم السين وفتح الكاف وإثبات الألف.
التوجيه: قال القرطبي: قرئ «سكرى» بغير ألف، وقرئ «سكاري»، وهما لغتان لجمع سكران، مثل كسلى وكسالى.

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ [الحج: ٥].

القراءات: «وربت» قرأ أبو جعفر «وربات» بهمزة مفتوحة بعد الباء بمعنى «ارتفعت»، وقرأ الباقون «وربت» بحذف الهمزة.

المعنى والتوجيه: قال القرطبي: «وربت»، أي: ارتفعت وزادت وقيل: انتفخت، والمعنى واحد وأصله الزيادة. ربا الشيء يربو ربواً، أي: زاد ومنه الربا والربوة، وقرأ يزيد بن القعقاع وخالد بن الياس (وربات)، أي ارتفعت حتي صارت بمنزلة الربيثة وهو الذي يحفظ القوم على شيء مشرف، فهو رابئ وربيثة على المبالغة.

قَالَ تَجَالِي: ﴿ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٩].

القراءات: «ليضل» قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس بفتح الياء، والباقون بضمها.
التوجيه: قال الرازي: قرئ بضم الياء وقرئ بفتحها، فأما القراءة بضم الياء فللدلالة على أن هذا المجادل فعل الجدل وأظهر التكبر لكي يتبعه غيره، فيضله عن طريق الحق، فجمع بين الضلال والكفر وإضلال الغير. وأما القراءة بفتح الياء فالمعنى أنه لما أدى جداله إلى الضلال جعل كأنه غرضه.

قَالَ الْجَلِّي: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [المعج: ١٥]

القراءات: «ثم ليقطع» قرأ ورش وأبو عمرو وابن عامر ورويس بكسر اللام وصلًا وبدءًا لأن لام الأمر الأصل فيها الكسر، وقرأ الباقون بإسكانها وصلًا للتخفيف وكسرهما بدءًا.

المعنى: قال الرازي: اختلف في السبب على قولين: أحدهما: أنه الحبل وهؤلاء اختلفوا في السماء فمنهم من قال: هو سماء البيت، ومنهم من قال هو السماء في الحقيقة، فقالوا المعنى: من كان يظن أن لن ينصره الله، ثم يغيبه أنه لا يظفر بمطلوبه، فليستقص وسعه في إزالة ما يغيبه، بأن يفعل ما يفعل مَنْ بَلَغَ مِنْ الْغَيْظِ كُلِّ مَبْلَغٍ حَتَّى مَدَّ حَبْلًا إِلَى السَّمَاءِ مِنْ بَيْتِهِ، فَاحْتَنَقَ، فَلْيَنْظُرْ أَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ هَلْ يَذْهَبُ نَصْرُ اللَّهِ الَّذِي يَغِيظُهُ.

وعلى هذا القول اختلفوا في القطع، فقال بعضهم: سُمِّيَ الْاِحْتِنَاقُ قِطْعًا؛ لِأَنَّ الْمُحْتَنِقَ يَقْطَعُ نَفْسَهُ بِحَبْسِ مَجَارِيهِ، وَسُمِّيَ فَعْلُهُ كَيْدًا لِأَنَّهُ وَضَعَهُ فِي مَوْضِعِ الْكَيْدِ حَيْثُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِهِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِهْزَاءِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُدْ بِهِ مُحْسُودَهُ وَإِنَّمَا كَادَ بِهِ نَفْسَهُ. وَالْمُرَادُ لَيْسَ فِي يَدِهِ إِلَّا مَا لَيْسَ بِمُذْهَبٍ لِمَا يَغِيظُ، وَهَذَا قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَمِقَاتِلُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رحمتهما: يَشُدُّ الْحَبْلَ فِي عُنُقِهِ وَفِي سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ لِيَقْطَعَ الْحَبْلَ حَتَّى يَخْتَنِقَ وَيَهْلِكُ؛ هَذَا كُلُّهُ إِذَا حَمَلْنَا السَّمَاءَ عَلَى سَقْفِ الْبَيْتِ وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرٍ مِنَ الْمَفْسَرِينَ.

وقال آخرون: المراد منه نفس السماء؛ فإنه يمكن حمل الكلام على نفس السماء فهو أولى من حمله على سماء البيت؛ لأن ذلك لا يفهم منه إلا مقيدًا، ولأن الغرض ليس الأمر بأن يفعل ذلك، بل الغرض أن يكون ذلك صارفًا له عن الغيظ إلى طاعة الله تعالى. وإذا كان كذلك، فكلما كان المذكور أبعد من الإمكان كان أولى بأن يكون هو المراد، ومعلوم أن

مدّ الحبل إلى سماء الدنيا والاختناق به أبعد في الإمكان من مده إلى سقف البيت؛ لأن ذلك ممكن. أمّا الذين قالوا السبب ليس هو الحبل فقد ذكروا وجهين:

الأول- كأنّه قال، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع بذلك السبب المسافة ثم لينظر، فإنّه يعلم أنّ مع تحمل المشقة فيما ظنه خاسر الصفقة، كأنه لم يفعل شيئاً وهو قول أبي مسلم.

الثاني- كأنه قال، فليطلب سبباً يصل به إلى السماء؛ فليقطع نصر الله لنبيه ولينظر هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بحيلة، وهل يتهيأ له أن يقطع بذلك نصر الله عن رسوله، فإذا كان ذلك ممتنعاً كان غيظه عديم الفائدة. واعلم أنّ المقصد على كل هذه الوجوه معلوم، فإنه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه، وهو في معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، مبيناً بذلك أنه لا حيلة له في الآيات التي اقترحوها.

قال الشنقيطي: في هذه الآية أوجه من التفسير معروفة عند العلماء، وبعضها يشهد لمعناه قرآن:

الأول- أنّ المعنى: مَنْ كَانَ مِنَ الْكُفْرَةِ الْحَسَدَةَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يظن أن لن ينصره الله»، أي: أن لن ينصر الله نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَلْيَمْدُدْ سَبَبًا﴾ [الحج: ١٥]، أي بحبل إلى السماء أي: سماء بيته، والمراد به: السقف؛ لأن العرب تسمي كل ما علاك سماء كما قال:

وقد يُسمَى سماء كل مرتفع وإنما الفضل حيث الشمس والقمر

كما أوضحناه في سورة «الحجر» والمعنى: فليعقد رأس الحبل في خشبة السقف ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ [الحج: ١٥]، أي: ليختنق بالحبل، فيشده في عنقه، ويتدلّى مع الحبل المعلق في السقف حتى يموت، وإنما أطلق القطع على الاختناق؛ لأن الاختناق يقطع النفس

بسبب حبس مجاربه، ولذا قيل للبهر وهو تتابع النفس: قطع، فلينظر إذا اختنق ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ﴾، أي: هل يذهب فعله ذلك ما يغيبه من نصر الله نبيه ﷺ في الدنيا والآخرة، والمعنى: لا يُذْهِبُ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ ذَلِكَ الْكَافِرُ الْحَاسِدُ مَا يَغِيظُهُ وَيَغْضِبُهُ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَسَمِيَ فَعْلُهُ كَيْدًا، لِأَنَّهُ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْكَيْدِ، حَيْثُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى غَيْرِهِ أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِهْزَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكِدْ بِهِ مَحْسُودَهُ، إِنَّمَا كَادَ بِهِ نَفْسَهُ، وَالْمُرَادُ: لَيْسَ فِي يَدِهِ إِلَّا مَا لَيْسَ بِمَذْهَبٍ لِمَا يَغِيظُهُ أَهْلُ مِنْهُ، وَحَاصِلُ هَذَا الْقَوْلِ: أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِحَاسِدِيهِ ﷺ، الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِهِ الدَّوَائِرَ، وَيُظَنُّونَ أَنَّ رَبَّهُ لَنْ يَنْصُرَهُ: مَوْتُوا بِغِيظِكُمْ، فَهُوَ نَاصِرُهُ لَا مَحَالَةَ عَلَى رَغْمِ أَنْوَفِكُمْ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ: مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَعُكْرَمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَغَيْرُهُمْ، كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُمْ ابْنُ كَثِيرٍ، وَهُوَ أَظْهَرُهَا عِنْدِي، وَمَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغِيظِكُمْ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١١٩].

والوجه الثاني- أن المعنى: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة، والحال أن النصر يأتيه ﷺ من السماء، فليمدد بسبب إلى السماء فيرتقي بذلك السبب حتى يصعد إلى السماء، فيقطع نزول الوحي من السماء، فيمنع النصر عنه ﷺ، والمعنى: أنه وإن غاظه نصر الله لنبيه، فليس له حيلة، ولا قدرة على منع النصر، لأنه لا يستطيع الارتقاء إلى السماء ومنع نزول النصر منها عليه ﷺ، وعلى هذا القول: فصيغة الأمر: في قوله: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [الْمَلْحُ: ١٥] وقوله: ﴿ثُمَّ لَيَقَطَعْ﴾ للتعجيز ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ ذلك الحاسد العاجز عن قطع النصر عنه ﷺ، هل يُذْهِبُ كَيْدَهُ إِذَا بَلَغَ غَايَةَ جَهْدِهِ فِي كَيْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَغِيظُهُ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، لِأَنَّهُ إِنْ عَمِلَ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِ، مِنْ كَيْدِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِيَمْنَعَ عَنْهُ نَصْرَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَذْهِبُ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُهُ مِنْ نَصْرِ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ وَمَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿ [ص: ١٠ - ١١]، وقد أوضحنا معنى هذه الآية في سورة «الحجر» ولبعض أهل العلم قول ثالث في معنى الآية الكريمة: وهو أن الضمير في (لَنْ يَنْصُرَهُ) عائد إلى من في قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ﴾ [الحج: ١٥]، وأن النصر هنا بمعنى الرزق، وأن المعنى: من كان يظن أن لن ينصره الله، أي: لن يرزقه، فليختنق، وليقتل نفسه، إذ لا خير في حياة ليس فيها رزق الله وعونه، أو فليختنق، وليمت غيظاً وغماً، فإن ذلك لا يغيّر شيئاً مما قضاه الله وقدره، والذين قالوا هذا القول، قالوا: إن العرب تسمي الرزق نصراً، وعن أبي عبيدة قال: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: من ينصرني نصره الله، يعني: من يعطيني أعطاه الله، قالوا: ومن ذلك قول العرب: أرض منصورة، أي ممطورة، ومنه قول رجل من بني فقعس:

وإنك لا تعطي امرأً فوق حقه ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره

أي: معطيه. قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له -: وهذا القول الأخير ظاهر السقوط، كما ترى والذين قالوا: إن الضمير في قوله: ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ راجع إلى الدين، أو الكتاب، لا يخالف قولهم قول من قال: إن الضمير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن نصر الدين، والكتاب هو نصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما لا يخفى، ونصر الله له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا، بإعلائه كلمته، وقهره أعداءه، وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته، والانتقام ممن كذبه، ونحو ذلك كما قال تعالى ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾

[جاثية: ٥١]

فإن قيل: قررتم أن الضمير في ينصره، عائد إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو لم يجر له ذكر، فكيف قررتم رجوع الضمير إلى غير المذكور. فالجواب: هو ما قاله غير واحد: من أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن لم يجر له ذكر، فالكلام دال عليه لأن الإيمان في قوله في الآية التي قبلها تليها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الحج: ١٤]، هو الإيمان بالله

وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والانقلاب عن الدين المذكور في قوله: ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [المخ: ١١]، انقلاب عما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (ثُمَّ لِيَقْطَعْ) قرأه أبو عمرو، وابن عامر، وورش، عن نافع بكسر اللام على الأصل في لام الأمر، وقرأه الباقون بإسكان اللام تخفيفاً.

فائدة: قال ابن عاشور: قرئ «ثم ليقطع» بسكون اللام، وهو لام الأمر، فإذا كان في أول الكلمة كان مكسوراً، وإذا وقع بعد عاطف غير «ثم» كان ساكناً مثل ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾. فإذا وقع بعد «ثم» جاز فيه الوجهان.

قَالَ تَجَالِي: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيحِهِمْ﴾ [المخ: ١٩]

القراءات: «هذان» قرأها ابن كثير مع المد اللازم، وقرأ الباقون «هذان».

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ بتشديد النون من «هذان» وتخفيفهما، وهما لغتان.

قَالَ تَجَالِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [المخ: ٢٣]

القراءات: «ولؤلؤاً» قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر ويعقوب بنصب الهمزة الثانية، وقرأ الباقون بخفضها.

التوجيه: قال ابن جرير: واختلف القراء في قراءة قوله «ولؤلؤاً»، فقرأته عامة أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصباً مع التي في الملائكة، بمعنى: يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا، عطفاً باللؤلؤ على موضع الأساور؛ لأن الأساور وإن كانت مخفوضة من أجل دخول (من) فيها. فإنها بمعنى النصب، قالوا وهي تعد في خط المصحف بالألف، فذلك

دليل على صحة القراءة، بالنصب فيه. وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصريين «وَلَوْلُؤٌ» خفصاً عطفاً على إعراب الأساور الظاهر.

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في وجه إثبات الألف فيه، فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه يقول: أثبت فيه كما أثبت في قالوا، وكالوا، وكان الكسائي يقول: أثبتوها فيه للهمزة لأنّ الهمزة حرفٌ من الحروف، والقول في ذلك عندي أنها قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، متفقتا المعنى صحيحتا المخرج، في العربية، فبأتيهما قرأ القارئ فمصيب.

فائدة: قال القرطبي: وقال الأنباري: من قرأ «وَلَوْلُؤٌ» بالخفض وقف عليه ولم يقف على الذهب وقال السجستاني: من نصب (اللؤلؤ)، فالوقف الكافي (من ذهب)، لأنّ المعنى: ويجلون لؤلؤاً، قال ابن الأنباري: وليس كما قال لأننا إذا خفصنا (اللؤلؤ) نسقناه على لفظ الأساور، وإذا نصبناه نسقناه على تأويل الأساور، وكأننا قلنا: يجلون فيها أساور ولؤلؤاً، فهو في النصب بمنزلة في الخفض، فلا معنى لقطعه من الأول.

قَالَ الْجَلِّيُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]

القراءات: «سواء العاكف فيه» قرأ حفص بنصب الهمزة، وقرأ الباقون بالرفع.

التوجيه: قال الشنقيطي: قرأه عامة السبعة غير حفص عن عاصم: سواء، بضم الهمزة، وفي إعرابه على قراءة الجمهور هذه برفع سواء وجهان:

الأول- أن قوله العاكف: مبتدأ، والباد: معطوف عليه، وسواء خبر مقدم، وهو مصدر أطلق وأريد به الوصف، فالمعنى: العاكف، والبادي سواء؛ أي: مستويان فيه، وهذا الإعراب أظهر الوجوه.

الثاني- أن سواء مبتدأ والعاكف فاعل سدّ مسدّ الخبر، والظاهر أن مسوغ الابتداء بالنكرة التي هي سواء على هذا الوجه: هو عملها في المجرور الذي هو فيه، إذ المعنى: سواء فيه العاكف والبادي، وجملة المبتدأ وخبره في محل المفعول الثاني: لجعلنا، وقرأ حفص عن عاصم، سواء بالنصب، وهو المفعول الثاني: لجعلنا التي هي بمعنى صيرنا. والعاكف فاعل سواء، أي: مستويًا فيه العاكف والبادي، ومن كلام العرب: مررت برجل سواءً هو والعدم، ومن قال: إن «جعل» في الآية تتعدى إلى مفعول واحد، قال: إن «سواء» حال من الهاء في جعلناه، أي: وضعناه للناس في حال كونه سواءً العاكف فيه والبادي، كقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [الْبَيْتَات: ٩٦].

وقال ابن جرير: وأما قوله (سواءً العاكفُ فيه) فإن قراء الأماصار على رفع سواء بالعاكف، والعاكف به، وإعمال جعلناه في الهاء المتصلة به واللام التي في قوله للناس، ثم استأنف الكلام بسواء؛ وكذلك تفعل العرب بسواء إذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به، فتقول مررت برجل سواءً عنده الخير والشر، وقد يجوز في ذلك الخفض، وإنما يختار الرفع في ذلك لأن سواء في مذهب واحد عندهم، فكأنهم قالوا: مررت برجل واحد عنده الخير والشر، وأما من خفضه، فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشر، ومن قال ذلك في سواء، فاستأنف به ورفع لم يقله في معتدل، لأنّ معتدل فعل مصرح، وسواء مصدر، فأخرجهم إياه إلى الفعل، كأخرجهم حسب في قولهم: مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل. وقد ذكرنا عن بعض القراء أنه قرأه «سواءً» نصبًا على إعمال جعلناه فيه، وذلك وإن كان له وجه في العربية، فقراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

قلت: قراءة الجر غير متواترة، وقراءة النصب متواترة، فكيف لا نستجيز القراءة بها؟ وقد بين العلماء وجوه القراءتين كما نقلنا عن الشنقيطي، وقال الألويسي: ونصب (سواء) على أنه مفعول ثان لجعلنا، والأول الضمير الغائب المتصل و (العاكف) مرتفع به، لأنه بمعنى مستو، وإن كان في الأصل مصدرًا ومن كلامهم: مررت برجل سواءً هو

والعدم، واللام ظرفٌ لما عنده؟ وجوّز أن يكون (للناس) في موضع المفعول الثاني، أي: جعلناه مباحًا للناس، أو معبدًا لهم (وسواء) حالًا من الهاء، وكذا يكون حالًا إذا لم يعد الجعل إلى مفعولين. وقرأ الجمهور «سواءً» بالرفع على أنه خبر «والعاكفُ» مبتدأً وُضِعَّ العكس لما فيه من الإخبار بالمعرفة عن النكرة، والجملة في موضع المفعول الثاني أو الحال، وجوّز أن تكون تفسيرية لـ «جعلناه للناس».

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [المحج: ٢٥]

القراءات: قرأ ورش، وأبو عمرو، وأبو جعفر، بإثبات الياء في «البادي» وصلًا، وابن كثير ويعقوب وصلًا ووقفًا، وقرأ الباقون بحذفها وصلًا ووقفًا «الباد».

التوجيه: قال ابن عاشور: وكتب (والباد) في المصحف بدون ياء في آخره، وقرأ ابن كثير (والبادي) بإثبات الياء على القياس لأنه معرّف، والقياس إثبات ياء الاسم المنقوص إذا كان معرفًا باللام، ويحمل كتابته في المصحف بدون ياء عند أهل هذه القراءة أنّ الياء عوملت معاملة الحركات، وألغات أواسط الأسماء، فلم يكتبوها. وقرأ نافع بغير ياء في الوقف وأثبتها في الوصل، ومحمل كتابته على هذه القراءة بدون ياء أنه رُوِيَ فيه التخفيف في حالة الوقف، لأن شأن الرسم أن يراعى فيه حالة الوقف، وقرأ الباقون بدون ياء في الحالتين؛ الوصل والوقف، والوجه فيه قصر التخفيف ومثله كثير.

قلتُ: وجه القراءتين - والله أعلم - بيان استواء الناس سواءً - مَنْ بعدت أرضه عن المسجد الحرام بعدًا شديدًا، أو أقلّ من ذلك؛ فإنّ نقص المبنى قد يفيد نقص المعنى.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ

الْعَتِيقِ﴾ [المحج: ٢٩]

القراءات: «ليقضوا» قرأ ورش، وقنبل وأبو عمرو، وابن عامر، ورويس، بكسر اللام وصلًا وبدءًا، لأنّ لام الأمر الأصل فيها الكسر، وقرأ الباقون بإسكانها وصلًا للتخفيف

وكسرها بدءاً. «وليوفوا» و«ليطوفوا» قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيهما وصلّاً وبدءاً، والباقون بإسكانها وصلّاً وكسرها بدءاً، وقرأ شعبة «وليوفوا» بفتح الواو وتشديد الفاء، والباقون بسكون الواو وتخفيف الفاء.

قال ابن جرير: واختلف القراء في قراءة هذه الحروف، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (ثمّ ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا) بتسكين اللام في كل ذلك طلباً للتخفيف، كما فعلوا في هو إذا كانت قبلها واو، فقالوا (وهو عليم بذات الصدور)، فسكنوا الهاء، وكذلك يفعلون في لام الأمر إذا كان قبلها حرف من حروف النسق، كالواو والفاء وثمّ، وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله (ثمّ ليقضوا) خاصةً من أجل أن الوقوف على «ثمّ» دون «ليقضوا» حسن، وغير جائز الوقوف على الواو والفاء، وهذا الذي اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس غير أن أكثر القراء على تسكينها.

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي، أن التسكين في لام «ليقضوا» والكسر قراءتان مشهورتان، ولغتان سائرتان، فبأيتها قرأ القارئ فمصيب الصواب، غير أن الكسر فيها خاصةً أقيس، لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة، لأن من قرأ (وهو عليم بذات الصدور)، فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء، ويحركها في قوله (ثمّ هو يوم القيامة من المحضرين)، فذلك الواجب عليه أن يُفعل في قوله (ثمّ ليقضوا تفثهم)، فيحرك اللام إلى الكسر مع «ثم» وأن يسكنها في قوله (وليوفوا نذورهم)، وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري تحريكها مع «ثم» والواو، وهي لغة مشهورة، غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها، وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها، فالقراءة بها أعجب إليّ من كسرها اهـ.

قوله «ليوفوا» بتشديد الفاء وتخفيفها يفيد لزوم التوفية بالندور، ومن الله المثوبة على ذلك، سواءً من أحسن وبالغ «ليوفوا» أو من أدى ما وجب عليه بنذره دون زيادة «ليوفوا».

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا
وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]

القراءات: قرأ نافع وهشام وحفص وأبو جعفر «بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ» وقرأ الباقون «بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ».

التوجيه: قرئ «بَيْتِي» بإسكان الياء على الأصل في ياء الإضافة وقرئ بفتحها تخفيفاً لثقل الياء ولعل وجه القراءتين: أن قراءة الإسكان تفيد - لما فيها من إلصاق للياء - مزيد اختصاص الكعبة بكونها بيت الله، فالمساجد كلها بيوت الله ولكن لمسجد الكعبة مزيد اختصاص وإضافة إلى الله، فقراءة الإسكان تفيد لزوم المبالغة في تطهير هذا المسجد المقدس لمزيد اختصاصه، وقراءة الفتح تفيد أن تطهيره إنما هو لكونه بيتاً لله، ففيها إشارة إلى لزوم تطهير كل بيت لله، نعم - مسجد الكعبة له مزيد الاهتمام والاختصاص، ولكن لكل مسجد حقه من التطهير.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]

القراءات: «فتخطفه» قرأ نافع، وأبو جعفر بفتح الخاء والطاء مشددة، وقرأ الباقون بسكون الخاء وفتح الطاء مخففة.

التوجيه: قرئ «فتخطفه» بتخفيف الطاء للدلالة على أصل الفعل، وقرئ بتشديد الطاء للتكثير والمبالغة وللدلالة على عظيم ضياع وهلاك من أشرك بالله، ويصح أن يقال:

القراءتان تدلان على اختلاف وتفاوت ضياع وهلاك مَنْ أشرَكوا بالله، فمن عنى وتجبر في كفره أعظم ضياعاً مَنْ ليس كذلك، وإن كانوا جميعاً في ضياع وهلاكٍ.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٣٤]

القراءات: «منسكاً» معاً قرأ حمزة، والكسائي، وخلف العاشر بكسر السين، والباقون بفتحها.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرأ الجمهور «منسكاً» - بفتح السين - وقرأ حمزة، والكسائي وخلف - بكسر السين - وهو على القراءتين اسم مكان للنسك، وهو الذبح. إلا أنه على قراءة الجمهور جارٍ على القياس لأنَّ قياسه الفتح في اسم المكان؛ إذ هو من نسك ينسك - بضم العين - في المضارع، وأما على قراءة الكسر، فهو سماعي مثل مسجد من سجد يسجد؛ قال أبو علي الفارسي: ويشبه أن الكسائي سمعه من العرب.

فائدة: قال القرطبي: والمنسك الذبح وإراقة الدم قاله مجاهد؛ يقال: نسك إذا ذبح ينسك نسكاً، والذبيحة نسيكة وجمعها نسك، ومنه قوله تعالى ﴿أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ والنسك أيضاً الطاعة، وقال الأزهري في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع أراد مكان نسك ويقال: منسك ومنسك لغتان وقرئ بهما، فقرأ الكوفيون إلا عاصماً بكسر السين، والباقون بفتحها، وقال الفراء: المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر، وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي. وقال ابن عرفة في قوله ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾، أي مذهباً من طاعة الله يقال نسك نسكاً قومه إذا سلك مذهبهم وقيل: منسكاً عيداً قاله الفراء؛ وقيل: حجاً؛ قاله قتادة. والقول الأول أظهر لقوله تعالى ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، أي على ذبح ما رزقهم.

وقال الزمخشري: المنسك بفتح السين هو مصدر بمعنى النسك، وبكسر السين

يكون بمعنى الوضع.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾

[الفتح: ٣٧]

القراءات: قرأ يعقوب «تنال» بتاء التأنيث فيها، والباقون بياء التذكير.

التوجيه: قرئ بالتاء نظراً إلى تأنيث لفظة اللحوم، وقرئ بالياء على التذكير، لأن تأنيث اللحوم لفظي وغير حقيقي، وللفصل بين الفعل والفاعل، أو لأن المراد «النذرا» و«الهدى» وكلاهما مذكر اللفظ.

قَالَ الْعَجَلِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الفتح: ٣٨]

القراءات: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب «يدفع» بفتح الياء وإسكان الدال وحذف الألف وفتح الفاء، وقرأ الباكون «يدافع» بضم الياء وفتح الدال وإثبات ألف بعدها وكسر الفاء.

التوجيه: قال الشنقيطي: وقرأ هذا الحرف ابن كثير، وأبو عمرو ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بفتح الياء والفاء بينهما دال ساكنة مضارع دفع المجرد، وعلى هذه القراءة، فالمفعول محذوف، أي: يدفع عن الذين آمنوا الشر والسوء لأن الإيمان بالله هو أعظم أسباب دفع المكاره، وقرأه الباكون: (يُدْفَعُ) بضم الياء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الفاء مضارع دافع المزيد فيه ألف بين الفاء والعين على وزن فاعل، وفي قراءة الجمهور هذه إشكال معروف، وهو أن المفاعلة تقتضي بحسب الوضع العربي اشتراك فاعلين في المصدر، والله جلّ وعلا يدفع كل ما شاء من غير أن يكون له مدافع يدفع شيئاً.

والجواب: هو ما عرف من أنّ المفاعلة قد ترد بمعنى المجرد نحو جاوزت المكان بمعنى جزته وعاقبت اللص وسافرت وعافاك الله ونحو ذلك، فإنّ فاعل في جميع ذلك بمعنى المجرد، وعليه فقوله: (يدافع) بمعنى يدفع كما دلت عليه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقال الزمخشري: ومن قرأ (يدافع) فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من

يغالب فيه لأن فعل المغالب يجيء أقوى وأبلغ اهـ. منه ولا يبعد عندي أن يكون وجه المفاعلة أنّ الكفار يستعملون كل ما في إمكانهم لإضرارهم بالمؤمنين وإيذائهم، والله جلّ وعلا يدفع كيدهم عن المؤمنين؛ فكان دفعه جلّ وعلا لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد يحاولون إلحاق الضرر بالمؤمنين، وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة في قوله (يُدَافِعُ)، وإن كان جلّ وعلا قادرًا على إهلاكهم ودفع شرهم عن عباده المؤمنين.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ [الْمَلْح: ٣٩]

القراءات: «أذن» قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر وعاصم ويعقوب وإدريس بخلف عنه بضم الهمزة، وقرأ الباقون بفتح الهمزة وهو الوجه الثاني لإدريس. «يقاتلون» قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسرها.

التوجيه: قرئ «أذن» بفتح الهمزة لتعيين الفاعل، للدلالة على أنه لا يجوز قتال للغير إلا بإذن الله الشرعي، ولو كان المقاتلون كفارًا، وقرئ بضم الهمزة للدلالة على تعيين الفاعل وعدم الحاجة إلى ذكره أو للدلالة على رضا الكون بذلك، فالكون يتعبد ويرضى بما يرضى به الله ويأذن فيه، فجعل رضاهم بذلك كالإذن، والله أعلم.

قوله «يقاتلون» قرئ «يقاتلون» بفتح التاء للدلالة على جواز المقاتلة والإذن فيها شرعًا ردًا على قتال الغير، وقرئ «يقاتلون» بكسر التاء للدلالة على أنّ هؤلاء المؤمنين الذين يقاتلون قد أذن الله لهم شرعًا في القتال لكونهم مظلومين، ففي القراءة الأولى دلالة أنّ المقاتل إذا لم يكن مظلومًا بقتال غيره له، لم يجز له القتال كالبغاة والخوارج، والقراءة الثانية تدل على أن الإذن في القتال -لمن يقاتل- إنما هو لدفع الظلم، فالجهاد ما شرع إلا لدفع الظلم ورفع، وأيُّ ظلمٍ فوق حكم الناس بالقوانين الوضعية والشرائع التي تخالف شرع الله!! وأيُّ ظلمٍ فوق صدد الناس عن دين الله وتشويه صورته!! ولا توجد بلد كافر إلا وتصد عن سبيل الله بنفسها أو بمباركتها لذلك ورضاها به!! وأيُّ ظلمٍ فوق حرمان

أهل الدعوة والحق من الوصول إلى مواطن الكفر والفساد ودعوة الناس فيها وتبليغهم
 شرع الله العظيم!!

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾ [الْحَجَّ: ٤٠]

القراءات: «دفع» قرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب «دفاع» بكسر الدال وفتح الفاء
 وإثبات الألف بعدها، وقرأ الباقر «دفع» بفتح الدال وإسكان الفاء وحذف الألف
 «لهدمت» قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر، بتخفيف الدال على أنه فعل ثلاثي مجرد، وقرأ
 الباقر بتشديدها على أنه فعل مضاعف العين.

التوجيه: قوله تعالى: «دفع» قرئ «دفع» وذلك يفيد إثبات دفع الله غشم وظلم
 الكافرين بجهاد عباده المؤمنين لهم، وقراءة «دفاع» تفيد أنّ هذا الدفع الذي قدره الله وشرع
 الجهاد من أجله، هو دفاعٌ منه سبحانه عن عباده المؤمنين، فإنهم لو تركوا الجهاد لتخطفهم
 الكفار إلى جانب ما سيقوم به هؤلاء الكفار من هدمهم لدور العبادة وطمسهم لمعالم
 التوحيد.

قوله تعالى: «لهدمت» قال ابن عاشور: قرئ بتشديد الدال للمبالغة في الهدم، أي:
 لهدمت هدمًا ناشئًا عن غيظٍ بحيث لا يبقون لها أثرًا.

وقال ابن جرير: قراءة التشديد بمعنى تكرير الهدم مرّة بعد مرّة، والتشديد في ذلك
 أعجب القراءتين إليّ؛ لأنّ ذلك من أفعال أهل الكفر.

قَالَ النَّجَّارِيُّ: ﴿فَكَأَيُّنَ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
 عُرُوشِهَا﴾ [الْحَجَّ: ٤٥]

القراءات: «فكأين» و «كأين» قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، بألف بعد الكاف وبعد
 الألف همزة مكسورة محققة لابن كثير؛ مسهلة لأبي جعفر مع المد والقصر، وقرأ الباقر

همزة مفتوحة بعد الكاف وبعدها ياء مكسورة مشددة ووقف أبو عمرو ويعقوب على الياء، والباقون على النون.

«أهلكتها» قرأ أبو عمرو، ويعقوب «أهلكتها» بتاء مضمومة بعد الكاف من غير ألف، وقرأ الباقون: «أهلكتها» بنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها ألف.

التوجيه: قوله تعالى «أهلكتها» قرئ بالنون ليفيد عظيم قدرة الله الذي أهلك الظالمين والكفار، فلا يعجزه شيء ولا مخلوق مهما كان قوياً متجبراً، وقراءة التاء تفيد أن الله وحده هو الذي أهلكهم بلا معين ولا مؤيد، فالملائكة أو غيرها من المخلوقات التي أمرت بإهلاك الكفار كالريح والبحر إنما هم منفذون لأمر الله وليسوا بمعينين له سبحانه.

وقوله تعالى «فكأين» و «كأين»

فائدة: قال الشنقيطي: اعلم أن «كأين» فيها لغات عديدة أفصحها «كأين» و«كائن»، و«كأين» بفتح الهمزة والياء المكسورة المشددة أكثر في كلام العرب، وهي قراءة الجمهور، كما بينا، و«كائن» بالألف والهمزة المكسورة أكثر في شعر العرب، ولم يقرأ بها من السبعة غير ابن كثير، كما بينا ومعنى كأين كمعنى كأي الخيرية فهي تدل على الإخبار بعدد كثير ومميزها له حالتان: الأولى- أن يجر بمن وهي لغة القرآن كقوله ﴿وَكَأَيْنَ مِّن قَرِيَةٍ﴾ [الطلاق: ٨]، وقوله ﴿وَكَأَيْنَ مِّن نَّبِيٍّ﴾ [العنكبوت: ١٤٦]، ﴿وَكَأَيْنَ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يوسف: ١٠٥]، ونظير ذلك من كلام العرب في جر مميز كأين بمن، قوله:

وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أصيب هو المصابا

الحالة الثانية- أن ينصب، ومنه قوله:

وكائن لنا فضلاً عليكم ومنّة قديماً ولا تدرون ما من منعم

وقول الآخر:

اطرد اليأس بالرجاء فكائن ألمأحم يسره بعد عسر

قال في «الخلاصة»

ككم كآين وكذا وينتصب تمييز ذين أو به صل من تصب

أما الاستفهام بكأين فهو نادر ولم يثبت إلا ابن مالك، وابن قتيبة، وابن عصفور، واستدل له ابن مالك بما روي عن أبي ابن كعب، أنه قال لابن مسعود: كأين تقرأ سورة «الأحزاب» آية؟ فقال ثلاثاً وسبعين، اهـ .

واختلف في كأين هل هي بسيطة أو مركبة، وعلى أنها مركبة فهي مركبة من كاف التشبيه، وأي المنونة، قال بعضهم: ولأجل تركيبها جاز الوقف عليها بالنون في قراءة الجمهور، لأن التنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية، لهذا رسم في المصحف نوناً وقراءة أبي عمرو بالوقف على الياء لأجل اعتبار حكم التنوين في الأصل، وهو حذفه في الوقف. قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له -: الأظهر عندي أنّ كأين بسيطة، وأنها كلمة وضعتها العرب للإخبار بعدد كثير، نحو: كم؛ إذ لا دليل يجب الرجوع إليه على أنّ أصلها مركبة، ومن الدليل على أنها بسيطة: إثبات نونها في الخط، لأن الأصل في نون التنوين عدم إثباتها في الخط، ودعوى أنّ التركيب جعلها كالنون الأصلية دعوى مجردة عن الدليل. واختار أبو حيان أنها غير مركبة، واستدلّ لذلك بتلاعب العرب بها في تعدد اللغات، فإنّ فيها خمس لغات اثنتان منها قد قدمناهما، وبيّنا أنّهما قراءتان سبعيتان، لأنّ إحداهما قرأ بها ابن كثير، والأخرى قرأ بها الجمهور. واللغة الثالثة فيها: كأين بهمزة ساكنة فياء مكسورة، والرابعة - كيئن بياء ساكنة وهمزة مكسورة، الخامسة - كأن بهمزة مفتوحة ونون ساكنة اهـ. ولقد صدق أبو حيان في أنّ التلاعب بلفظ هذه الكلمة إلى هذه اللغات يدلّ على أنّ أصلها بسيطة لا مركبة، والله تعالى أعلم.

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَيَسْتَعْجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الفتح: ٤٧]

القراءات: «تعدون» قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر بالياء، وقرأ الباقون بالتاء.

التوجيه: قال القرطبي: قرئ بالياء، واختاره أبو عبيد لقوله «ويستعجلونك» وقرئ بالتاء على الخطاب واختاره أبو عمرو.

قلت: ويصح أن يقال: قراءة الياء تفيد الإعراض عن خطابهم لشركهم وكفرهم، وأن خطابهم - كما في قراءة التاء - إنما هو خطاب سخط وغيظ.

قَالَ تَجَالِي: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

[الفتح: ٥١]

القراءات: «معاجزين» قرأ ابن كثير، وأبو عمرو «معجزين» بحذف الألف بعد العين وتشديد الجيم، وقرأ الباقون «معاجزين» بإثبات الألف وتخفيف الجيم.

التوجيه: قال الشنقيطي: الظاهر بحسب الوضع العربي في قراءة الجمهور «معاجزين» هو اقتضاء طرفين، لأن الظاهر لا يعدل عنه إلا للدليل يجب الرجوع إليه والمفاعلة تقتضي الطرفين إلا للدليل يصرف عن ذلك، واقتضاء المفاعلة من الطرفين في الآية من طريقتين: الأولى: هي ما قاله ابن عرفة من أن معنى «مُعَاجِزِينَ» في الآية أنهم يعاجزون الأنبياء، وأتباعهم، فيحاول كل واحد منها إعجاز الآخر، فالأنبياء وأتباعهم يحاولون إعجاز الكفار وإخضاعهم لقبول ما جاء عن الله تعالى، والكفار يقاتلون الأنبياء وأتباعهم ويمنعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله، وهذا الوجه ظاهر كما قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]،

وعليه فمفعول «مُعَاجِرِينَ» محذوف، أي: معاجزين الأنبياء وأتباعهم، أي: مغالبن لهم ليعجزوهم عن إقامة الحق.

الطريقة الثانية- هي التي ذكرناها آنفا عن الزجاج أن معنى «مُعَاجِرِينَ» ظانين أنهم يعجزون ربه، فلا يقدر على بعثهم بعد الموت، كما قال تعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ [الْبَقَرَةَ: ٧]، وكما قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [يَسَّ: ٧٨].

وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو: «معجزين» بكسر الجيم المشددة، بلا ألف، فالأظهر أن المعنى معجزين، أي: مثبطين من أراد الدخول في الإيمان عن الدخول فيه، وقيل معجزين من أتبع النبي ﷺ، ومعنى ذلك أنهم ينسبونهم إلى العجز من قولهم عجزه بالتضعيف إذا نسبه إلى العجز الذي هو ضد الحزم؛ يعنون أنهم يحسبون المسلمين سفهاء لا عقول لهم حيث ارتكبوا أمراً غير الحزم والصواب هو اتباع دين الإسلام في زعمهم، كما قال تعالى عن إخوانهم المنافقين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ﴾ [الْبَقَرَةَ: ١٣]، وقوله في هذه الآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا ﴾ [الْحَجَّ: ٥١].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الْحَجَّ: ٥٢]

القراءات: في «أمنية» قرأ أبو جعفر بتخفيف الياء، والباقون بتشديدها.

التوجيه: قرئ بتشديد الياء وتخفيفها، وهما لغتان بمعنى.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الْبَيْع: ٥٨]

القراءات: «قتلوا» قرأ ابن عامر بتشديد التاء للتكثير، والباقون بتخفيفها على الأصل.

التوجيه: قراءة التشديد تفيد التكثير، أي: كثرة المقتولين، كما تفيد الشدة، أي: شدة وفضاعة طريقته، ففي ذلك دلالة على تعظيم الثواب؛ إذ الأجر يزيد كلما كان الأمر أشد وأشق، وقراءة التخفيف تفيد وجود الإثابة والإنعام بالفضل من الله أيضًا لمن قتل في سبيل الله دون أن يلقي في ذلك مشقةً زائدةً، فهما متكاملتان.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ [الْبَيْع: ٥٩]

القراءات: «مدخلًا» قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الميم، وقرأ الباقون بضم الميم.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع «مدخلًا» بفتح الميم على أنه اسم مكان من دخل المجرد لأن الإدخال يقتضي الدخول، وقرأ الباقون بضم الميم جريًا على فعل «ليدخلنهم» المزيد وهو أيضًا اسم مكان للإدخال.

قلت: قراءة الضم تفيد تفخيم منازلهم ودرجاتهم، وذلك مناسب لحركة الضم التي هي أقوى الحركات، فلعلها في قومٍ أعظم إيمانًا، وقراءة الفتح فيمن هم أقل إيمانًا، فحركة الفتح أخف.

قَالَ النَّجَّالِيُّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الْبَيْع: ٦٢]

القراءات: «وأن ما يدعون» قرأ أبو عمرو وحفص وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بالياء، وقرأ الباقون بالتاء.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وابن عامر، وأبو عمرو عن عاصم وأبو جعفر «تدعون» بالتاء الفوقية على الالتفات إلى خطاب المشركين لأن الكلام السابق الذي جرت عليهم فيه ضائر الغيبة مقصود منه إسماعهم، والتعريض باقتراب الانتصار عليهم، وقرأ البقية بالتحية على طريقة الكلام السابق.

قلت: قراءة الياء تفيد الإعراض عن خطاب الكفار لشركهم ودعاءهم غير الله، وتدل على أن خطابهم - كما في قراءة التاء - إنما هو خطاب غضبٍ وسخطٍ.

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾

[الأنعام: ٧٣]

القراءات: قرأ «تدعون» يعقوب بياء الغيبة على الالتفات وقرأ الباقر بتاء الخطاب.

التوجيه: قراءة الياء تفيد الإعراض عن خطاب الكفار لشركهم وكفرهم، وأن خطابهم (كما في قراءة التاء)، إنما هو خطاب غضبٍ وسخطٍ وليس خطاب رضاء ورحمة.

